مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 07 ،العدد 03 ديسمبر ،2021 ص - ص:95.-122

إسهامات المهاجرين السوافة في الحياة العلمية والفكرية التونسية؛ الشيخ العربي بن عمار (أنموذجا).

The Contributions of Souafa immigrants to the Tunisian Scientific and Intellectual Life ; Sheikh Larbi Bin Ammar as Model

أ / بريك الإمام*[1]
طالب دكتوراه علوم، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945م. قالمة
أستاذ مساعد أ – قسم العلوم الانسانية، جامعة الشهيد حمّة لخضر، الوادي (الجزائر)
مخبر بحث التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر ، جامعة الوادي.
Brik-limam@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 07 /2021/05 تاريخ القبول: 13 /2021/12 تاريخ النشر: 05 /2022/02

الملخص

نحاول في هذه الدراسة الكشف عن الإسهامات العلمية والفكرية للشيخ العربي بن عمار، أحد المهاجرين والطلبة الزيتونيين السوافة بالبلاد التونسية ، الذي ترك ثمانية مؤلفات علمية هامة بين مطبوع ومخطوط، تناول فيها مجالات علمية ومعرفية متنوعة، شملت الأدب العربي بين شعر ونثر، العلوم الدينية والاجتماعية، التاريخ وعلوم الفلك والفلسفة، إضافة إلى إسهاماته العلمية من خلال مقالاته المنشورة في الصحافة التونسية.

ورغم انشغاله برسالته النبيلة في تربية وتعليم الأجيال من خلال مهنة التدريس بالبلاد التونسية، إلا أنه كان حريصا على القيام بدوره الإصلاحي الذي امتد أيضا إلى بلده الجزائر، بل وغيورا على المجتمع العربي والعالم الإسلامي اللذين بقيا يعانيان من ويلات الاستعمار الأوروبي، وذلك ما تؤكده القضايا العديدة التي عالجها المؤلف من خلال كتاباته النثرية أو الشعرية، وقد أدرك الشيخ أن التأليف والصحافة هما الوسيلتان الأنسب لرفع راية الإصلاح في مجتمعه وأمّته.

الكلمات الدالة: العربي بن عمار؛ الإسهامات العلمية والفكرية؛ المهاجرون السوافة؛ البلاد التونسية.

Abstract: This study tries to know the scientific and intellectual contributions of Sheikh Larbi Bin Ammar, one of Souafa immigrants and

*المؤلف المرسل

student in *Al-Zaytouna* in Tunisia , The one who wrote eight important scientific books which are print and manuscript. He dealt with various scientific and knowledge fields, including Arabic literature: poetry and prose, religious and social sciences, history, astronomy and philosophy , in addition to his scientific contributions that published in the Tunisian press.

Despite his preoccupation with his noble mission in raising and educating generations through teaching profession in Tunisia, He was keen to carry out his reformist role, which also extended to his country Algeria. He was jealous of the Arabic society and the Islamic world , which remained suffering from The ravages of European colonialism. This is confirmed by the numerous issues which the author handled through his prose or poetry writings, the Sheikh realized that authorship and journalism are the most appropriate methods to raise the flag of reform in his society and nation.

Keywords: Larbi Bin Ammar, Scientific and Intellectual contributions, The Souafa immigrants, Tunisia .

1. مقدمة:

استطاع المهاجرون الجزائريون بالبلاد التونسية منذ مطلع القرن العشرين الميلادي أن يساهموا مساهمة فعالة في تطور الحياة العلمية والثقافية التونسية من خلال انخراطهم ونشاطاتهم في مختلف الجمعيات والهيئات التونسية والجزائرية ذات الطابع العلمي والثقافي، وكذلك من خلال منشوراتهم ذات الطابع الأدبي والسياسي في مختلف الصحف والمجلات التونسية.

ومن الطلبة الزيتونيين السوافة الذين أبدعوا بأقلامهم في الصحافة التونسية نذكر؛ الشاعر محمد العيد آل خليفة الذي نشر أشعاره في جريدتي العصر الجديد والزمان، وفي مجلتي الأسبوع والندوة خلال الفترة (1920 – 1955م)، ومحمد الأمين العمودي في جريدة العصر الجديد سنة 1920م، وزربيط عبد الحفيظ في جريدة لسان الشعب سنة 1930م، والشيخ المصلح حمزة بكوشة في جريدة الوزير خلال الفترة (1928 – 1935م) ،وسعد الله أبو القاسم في مجلتي الفكر والأسبوع خلال الفترة (1952 – 1958م)، وبوصبيع عبد الملك في جريدة الصباح خلال الفترة (1956 – 1960م)[1].

ولئن حظي بعض أعلام الفكر الزيتونيين الجزائريين والسوافة بدراسات علمية وأبحاث أكاديمية متخصصة، أو تمّ الإشارة إليهم، فإن الشيخ العربي بن عمار قد سقط ذكره سهوا أو جهلا من تلك المؤلفات[2].

لذا فإن من أهداف هذه الدراسة هو إماطة اللثام عن هذه الشخصية الزيتونية – الشيخ العربي بن عمار –، والتعريف بالقيمة العلمية لمؤلفاته الثمانية التي جمعت بين المطبوع والمخطوط.

ومنه فإن الإشكالية الرئيسية للبحث تمحورت حول **إسهامات الشيخ العربي بن عمار في الحياة العلمية والفكرية التونسية، ومدى اهتمامه بالقضايا الوطنية والعربية الإسلامية.**

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية تمثلت في:

- من هو الشيخ العربي بن عمار، وماهي العوامل التي ساعدت في تكوينه العلمي؟
- كيف ساهم في بعث الحركة الإصلاحية بمسقط رأسه، وماهي العراقيل التي واجهته؟
- ماهي المؤلفات المطبوعة والمخطوطة التي تركها؟
- ماهي أهم منشوراته في الصحافة التونسية؟
- ما مكانة الجزائر والأمتين العربية والإسلامية في أدبيات المؤلف؟

ولمعالجة هذه الإشكالية وفرضياتها سنعتمد بالأساس على المادة المصدرية الخالصة التي تركها الشيخ، وذلك وفق دراسة تاريخية تحليلية نقدية.

2. التعريف بالشيخ العربي بن عمار:

1.2 . المولد والنشأة:

هو العربي بن أحمد بن صالح بن عمار، من مواليد قرية سيدي عون بوادي سوف خلال سنة 1924م، بعد وفاة والده هاجر رفقة والدته سنة 1931م وعمره (09) تسع سنوات إلى مدينة توزر بالجريد التونسي من أجل كسب عائلته للقمة العيش، وتمكن خلال

الفترة 1931- 1938م من حفظ القرآن الكريم كاملا بين زاوية سيدي المولدي بمدينة توزر وكتّاب سيدي أبي العظام بحي باب الجديد بالحاضرة تونس التي هاجر إليها سنة 1936م.

تمكن الشيخ سنة 1939م من الانخراط في جامع الزيتونة لينهل من ينبوع علومه اللغوية والشرعية وغيرها، إذ تمكن سنة 1945م من نيل شهادة التحصيل، ليزاول تعليمه العالي لمدة سنتين، ثم ينقطع ويلتحق بمنطقة وادي سوف، أين عمل مدرّسا بالمدرسة الحرة في زاوية سيدي عون لمدة أربع سنوات (1947-1951)، لكنه اضطر العودة سنة 1951م إلى الحاضرة تونس ليكمل تعليمه العالي، ثم ليقدم دروسا خصوصية لأبناء البايات لمدة (04) أربع سنوات، وفي أثناء ذلك درّس لمدة سنة كاملة بجامع الزيتونة مقياس تاريخ العرب قبل الإسلام لتلاميذ السنة الثالثة.

في سنة 1956م التحق بالتعليم العمومي الرسمي كمدرّس، أين درّس بمدينة الكاف لمدة (07) سبع سنين، ثم بمدينة منزل أبي زلفى (بوزلفة) لمدة (03) ثلاث سنوات، ثم مدرّسا بمدرسة الحلفاوين بالعاصمة إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1987م .

توفي الشيخ رحمه الله تعالى سنة 2019م بالحاضرة تونس.

2.2 العوامل التي ساعدت في تكوينه العلمي والديني والأدبي:

- نشأ في بيئة دينية محافظة، إذ عاش طفولته المبكرة بين الكتاتيب والمساجد، انطلاقا من زاوية سيدي عون الشريف بالقرية أين تتلمذ على يد والده، ثم إلى زاوية سيدي المولدي الشريف بمدينة توزر، ليكمل رحلته التعليمية إلى الحاضرة تونس أين ختم حفظ القرآن الكريم بكتّاب سيدي أبي العظام بحي باب الجديد بالعاصمة.
- ترعرع كذلك في أسرة علمية ودينية محافظة، فأبوه أحمد وجده صالح بن عمار كانا إمامين ومعلّمين للقرآن الكريم بقرية سيدي عون، وكلاهما نهلا العلوم الشرعية واللغوية من زاوية أبي علي السّني بمدينة نفطة التونسية، وتخرجا من زاوية سيدي المولدي الشريف بمدينة توزر، إضافة إلى أن جده صالح كان يجيد نظم الشعر وعمته زينب كانت شاعرة ومدّاحة[3].

- قضى عشر سنوات في جامع الزيتونة، أين ختمها بشهادات الأهلية والتحصيل والعالمية في الآداب.
- اشتغل مدرسا لمدة 36 سنة في التعليم العمومي الرسمي بالبلاد التونسية[4].
- قبل إحالته على التقاعد بخمس سنين شرع في تفسير لكامل القرآن الكريم إلى أن أكمله سنة 1997م[5].

3.2. دوره في بعث الحركة الإصلاحية بالمنطقة:

قرر الشيخ في صائفة سنة 1947م القيام بزيارة إلى مسقط رأسه على نية الرجوع لإكمال السنة الأخيرة من تعليمه العالي بالزيتونة، لكنه وجد القرية على حالة يرثى لها من الجهل والتخلف، فقرر البقاء وتخليص الأهالي من مظاهر التخلف بجميع أنواعه، فالتف حوله الأهالي إلا القليل، واستطاع بتضحياته تنوير العقول وتعريفها بالإسلام الصحيح وتطهيرها من لوثة الضلال والأوهام.

وهكذا شمل برنامجه الإصلاحي والتعليمي جميع الفئات العمرية، فقسم الأطفال من الجنسين إلى ثلاث فئات: الصغار والمتوسطون والكبار، وجعل لكل فئة وقتا معينا، أما الرجال فخصص لهم دروسا مسائية في المسجد يتلقون فيها دروسا في الفقه والتفسير والتوحيد والسيرة النبوية

لكن الشيخ تعرض لمضايقات وتهديدات متكررة من طرف السلطات الاستعمارية وأعداء الحركة الإصلاحية، حيث زاره إلى مقرّ مدرسته الحاكم العسكري بالوادي مرتين واستدعاه إلى المركز باحثا معه عن مسيرته واتجاهه السياسي، ولولا تدخل شيخ القرية حسني إبراهيم والقايد الأمين الزبيدي لتطور الأمر إلى حد التصفية والقتل، فاضطر العودة سنة 1951م إلى الحاضرة تونس فرارا بنفسه وليكمل تعليمه العالي[6].

3 . مؤلفاته:

كانت جملة مؤلفات الشيخ ثمانية بين مطبوع ومخطوط، وبين شعر ونثر، شملت مجالات شتى، كالأدب العربي، العلوم الشرعية، التاريخ:

1.3.الكتب المطبوعة: تمثلت في 03 مؤلفات:

- **كتاب " بلّ الصدى "**، أول ما طبع من أعماله، وهو ديوان شعري من 4500 بيت من الشعر الموزون المقفّى، جمع فيه المؤلف النصوص الشعرية التي نظّمها منذ أربعينيات القرن العشرين إلى السبعينيات منه، والتي عبّر من خلالها عن أحاسيسه ومشاعره تجاه الأحداث التي عاشها وعايشها، لذلك يجد القارئ فهرس الديوان مزخرفا بألوان من النصوص الشعرية بلغ عددها 170 قصيدة شعرية ذات أبعاد وتوجهات مختلفة، تناول فيها القضايا السياسية والاجتماعية والعلمية والثقافية والدينية والغزلية والرياضية .

يفضل الشيخ غالبا افتتاح وختم مؤلفاته بقطع شعرية، يحاول من خلالها تقديم إهداء للقراء في قالب نصائح وتوجيهات من باب تجربته العلمية، أو لتقديم ملخص في قالب شعري لمحتوى كتابه.

ختم المؤلف ديوانه بالعناوين التالية: خواطر في رباعيات من وحي التغيير، وخواطر في أغراض مختلفة، ذكريات في رباعيات، أوزان الشعر العربي، نموذج من تقطيع الأبيات إلى تفعيلاتها[7].

- **كتاب " ديوان: السراج الوهاج على تشطير البردة والمنهاج وملحقات أخرى"** ، وهو كذلك ديوان شعري مطبوع سنة 2004م ذو صبغة دينية.

وكسابقه استهل المؤلف كتابه بعد الإهداء بصفحة تضمنت صورته الشخصية ذيلها بقطعة شعرية، أراد من خلالها أن ينبه القارئ إلى ضرورة استغلال وقته والاستفادة منه ومن تجربته الشخصية في الحياة[8].

محتوى الديوان: قسّم المؤلف ديوانه إلى ثلاثة عناوين رئيسية:

أ- منهاج البردة: قسّمه إلى المولد النبوي الشريف، الإسراء والمعراج، الهجرة النبوية، المعجزات.

ب- تشطير البردة: تناول فيه قصة التشطير، ثم تطرق إلى تشطير البردة التي صنفها في عشرة فصول.

ت- الملحقات: ضمّ هذا الجزء 37 عنوانا من المتفرقات التي تناولت الجانب الديني، كفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وفضل الذكر وفضل العلم، التصوف، خواطر في رباعيات، ختمها بتقريظ ديوان (بلّ الصّدى) لتلميذه السابق وابن بلدته الشاعر والأستاذ مكاوي إبراهيم بن عمارة الذي عبّر عن سعادته باستلامه ديوان " بلّ الصّدى " المرسل إليه من طرف المؤلف، ويقول تلميذه ابتداء من البيت الثامن[9]:

يـــا ســـيِّدي (العَـــرَبِيّ) طِبْـــ ـــتَ وطـــابَ سَـــعْيُكَ يـــا عَلَـــمْ
عِشْـــتَ السّـــنينَ مُكافِحًـــا تُحْيِـــي العـــزائمَ والهِمَـــمْ
وتُعَلّـــمُ الأجيـــالَ جُهْـــ ـــدَكَ مـــا حَيِيـــتَ مـــن الشـــيَمْ
مـــا يَبْعـــثُ الآمـــالَ في وطـــنٍ يتـــوقُ إلى القِمَـــمْ
وخَـــدمتَ مُصْـــحَفَنا بمـــا لَـــكَ يـــا وليُّ مـــن الحِكَـــمْ
بِـــ (الـــرَوْح والرَيْحـــان) في عشـــرٍ مـــن السّـــنواتِ تَمّ
وبقيـــتَ تكـــدحُ كـــيْ تُـــلا قِـــي اللهَ في حُلَـــلِ الـــنّعَمْ

وضمن الملحقات أدرج المؤلف كذلك قصيدة " منظومة الشعوب العربية "، التي نظمها سنة 1956م عندما كان يدرّس مقياس تاريخ العرب قبل الإسلام لتلاميذ السنة الثالثة بجامع الزيتونة، لما عسر عليهم حفظ هذه الشعوب وما تفرع عنها، فجمعها لهم في شكل نص شعري ليسهل حفظها[10].

- **كتاب " تراجم المبدعين من علماء المسلمين "**: يتألف من 518 صفحة[11].

محتويات الكتاب: استهل المؤلف كتابه بالتعريف بشخصه بعنوان: المؤلف في كلمات. ثم قسم بحثه إلى عناوين رئيسية تندرج تحتها عناوين فرعية:

العناوين الرئيسية:

مقدمة في التاريخ – تاريخ العرب قبل الإسلام (دول الحضارات الشمالية – حضارات الوسط – حضارات الجنوب) – تاريخ العرب بعد الإسلام (دولة الرسول (ص) ثم الخلفاء الراشدين- الدولة الأموية- الدولة العباسية...) – أصول التشريع الإسلامي – أيمة المذاهب –

الفلسفة – الفرق الإسلامية – التصوف – رواة الحديث – القراءات – النحو والنحاة – علماء العرب – نشوء التربية الحديثة (الرواد والمدارس)...

ورغم أن هذا الكتاب يغلب عليه الطابع التاريخي السردي، إلا أن المؤلف أبى إلا أن يفتتح ويختم كتابه بقطعتين شعريتين:

أراد المؤلف في فاتحة كتابه أن يصوّر قيمة وأهمية دراسة التاريخ في حياة البشر فقال:

عُمُـــري بيـــنكم ثمـــانون عامـــا ... وبِـــدرس التـــاريخ عِشْـــتُ الدُّهـــورا
عِشْـــتُ مُـــذْ آدمٍ وعايَشْـــتُ نوحًـــا ... ثمّ مـــن بعـــده بَنِيـــهِ عُصـــورا
مـــن زمـــان إلى زمـــان حُـــدورا ... لِبَنـــي جِيلِـــنا أُزِيـــح السُّتـــورا
عِشْـــتُها في السُّـــطور رأيَ عِيـــانٍ ... ودليلـــي الكتـــابُ خَـــطَّ العُبـــورا
وكأنـــي قـــد ذُقْتُـــها بـــين حُلـــو ... ومُـــرٍّ يُثيـــرُ فِـــيَّ الشُّعـــورا
فادْرُسَـــنَّ التـــاريخَ درْسَ آعتـــبارٍ ... واتخـــذْ منـــه مـــا يَقيـــك العُثـــورا

وقد ختم المؤلف في صفحة الغلاف الخلفي من الكتاب بقطعة شعرية صوّر فيها المجالات التي يتناولها المخطوط وقيمة محتواه، وناصحا القراء بضرورة الاستفادة منها، والعمل على طلب العلم؛ فقال:

هـــذا الكتـــاب يضـــمّ بـــين رُفوفـــه ... علمـــاً غزيـــراً شـــعّ بـــين حُرُوفِـــهِ
مـــا بـــين فلســـفة وبـــين تصـــوّف ... وتـــراجم شـــهدتْ بِبَنْـــع قُطوفـــه
وفصـــول تـــاريخ تُريـــك عُصـــورَه ... فيهـــا رأى الإنســـان وعْـــظ صُـــروفه
وجهـــود تشريـــع تُريـــك حُقوبَـــه ... فيهـــا تجلّـــى العـــدل بعـــد كُسوفـــه
وحَـــوى سِـــوَى هـــذا الخِضَـــمّ ضُـــبارةً ... مـــن كـــل نفـــع بـــان تحـــت سُجوفـــه
فاكـــرعْ زلال العلـــم بـــين رياضِـــه ... وانشَـــقْ عبـــير الزّهـــر بـــين صُنوفـــه
واجْـــنِ الفواكـــه بـــين رَوْح ظِلالـــه ... ونسيمـــه وزهـــوره ورُشوفـــه
واصْحَبْـــه في حِـــلٍّ وترحـــال وفـــي ... كـــلّ المـــواطن بـــين خـــيرِ ضُيوفـــه
ثمّ لْتكـــنْ هَيْـــمَانَ فيـــه متيِّـــماً ... في حُبِّـــه بجلوســـه ووقوفـــه
واعمَـــلْ بمـــا يُملـــي لحفـــظِ حياتِـــنا ... إنْ ظـــلّ غيـــرُك ساعـــياً لحُتوفـــه

2.3. المخطوطات: ترك الشيخ 05 مخطوطات قيمة تمثلت في:

– مخطوط "**الرّوح والرّيحان من رياض تفسير القرآن** "[12]، في ثمانية مجلدات كبار، بمجموع 4200 صفحة، وهو في شكل مخطوط مودع بدار الكتب الوطنية التونسية.

اعتمد المؤلف على منهجية موحدة في جميع الأجزاء التي تضمنتها مجلدات تفسير القرآن الكريم، وذلك باعتماد الخطوات التالية:

الألفاظ – النحو والقراءات – البلاغة – المعاني – حاصل المعنى – أحكام واستنباطات[13].

كما اختار للآيات التي تعمل نفس المعنى عنوانا مناسبا لها، فمثلا الآيات 41-42-43-44 من سورة الأنفال اختار لها العنوان: كيف تقسم الغنائم؟.

- مخطوط " **تنوير الأفكار بتحقيقات أولي الأبصار** "[14]: يضم 517 صفحة.

محتوى المخطوط:

حملت الصفحة الثالثة التي تلت واجهة المخطوط مكان صورة المؤلف وتحتها وضع قطعة شعرية من تأليفه يقول فيها:

هـذه صـورتي ومنهـا تجلّـتْ ... ذكريـاتٌ روتْ ثمـانين عامـا
بَـيْن حُلـوٍ وبـين مُـرٍّ فأمْسـتْ ... واعظـا يُـوقِظ الغُفـاة النِّيامـا
ويحـثّ الخُطـى لخـيرِ مَصـيرٍ ... باكْتسـاب الصَّـلاح يَكسـو الأنامـا
فلْتُبـادِرْ إلى مَغانيـه رَكْضـا ... قبـل أنْ يَحْسُـوَ النَّـدامى ضِـراما
وَفِّـقِ اللهُ مَـنْ يُفيـق نَؤومـا ... واهْـدِ خَلْقـا ضَـلَّ الطريـقَ فهامـا

وفي الصفحة الرابعة أدرج عنوانا باسم: **الاستفتاح**، تخليدا لذكرى شيخه الجليل **عبد العزيز الباوندي**[15] الذي كان دائما يفتتح جلساته القرآنية بالابتهال.

حملت الصفحتان المواليتان عنوان: " **المؤلف في سطور**".

ثم ليبدع المؤلف في قصيدة من تأليفه تحمل 73 بيتا بعنوان: " **مقدمة في فضل العلم** ". ختمها بأبيات ثلاثة للإمام الشافعي، أما قصيدته فافتتحها بـ:

يـا طالـبَ العِلـم لا تَبْغـي بـه بَـدَلا ... واهْنَـأْ إذا كُنْـتَ في تحصـيله بَطـلا
لـــكَ المكانـــةُ ثُمَّ الجـــاهُ مُعتلِيـــا ... بحَولِـــهِ قِمـــة الجـــوزاءِ مُـــرتفِلا
فكنـتَ بـين الـوَرى مِصـباح داجيـةٍ ... تهدي خُطاهم إلى حيث انْبَرَوْا سُبُلا
فـاحْرِصْ علـى هِمّـةِ الجـوّاب مُـرتحِلا ... مـا بـين آفاقِـه واقصُـدْ لـه الـدُّوَلا
واطلُبْـه بالمهـد حـتّى اللَحْـد مجتهـدا ... ولو مِنَ الصّين تكسبْ عِزَّ من بذلا
واشْتَرْ من الكُتْبِ ما أوطابُكَ امتلأَتْ ... بـه مـن الفِكْـرِ فـاق الشَّـهْدَ والعَسَـلا

أما فهرس المخطوط فقد قسمه المؤلف إلى الأقسام الرئيسية التالية:

لُغويّات – أثيريّات – عالم الروح – عالم الجن – علميّات – من التاريخ البعيد – الأديان – جوهرة التوحيد – شرعيّات – رسول الإسلام والسلام – نسائيات – متفرقات – للترويح عن النفس – من الأخطاء الشائعة – دعاء الختام – مراجع الكتاب[16].

إضافة إلى المخطوطات التالية المحفوظة بالمكتبة المنزلية للشيخ والتي لم نتمكن من الوصول إليها بسبب الظروف الاستثنائية التي يعيشها العالم في ظل جائحة كورونا:

- مخطوط " **القول الملهم في توضيح ما في القرآن من المبهم** ".
- مخطوط " **تفسير جزء عمّ** "، في مجلد كبير.
- مخطوط " **القول السديد في التعليق على جوهرة التوحيد** ".

4. إسهامات الشيخ في الصحافة التونسية:

كانت بعض الصحف التونسية فضاء ومنبرا فسيحا للمؤلف استطاع من خلالها نشر بعض قصائده وأعماله، حيث أكد توجهاته ومقاصده الدينية والعلمية والأدبية من النشاط الصحفي، وفيما يلي أهم الصحف التونسية التي نشر فيها الشيخ:

❖ جريدة النهضة: نشر فيها المؤلف قصيدة من 28 بيتا سنة 1955م بعنوان " جمعية العالمية تحيي اتحاد الطلبة "، والتي ألقيت كذلك في حفل للطلبة بمركب الحي الزيتوني، بمناسبة الاحتفال بالذكرى السنوية لتأسيس الاتحاد العام للطلبة التونسيين[17].

❖ مجلة جوهر الإسلام:

– **نشر** فيها سنة 1956م قصيدة " الهجرة النبوية "، من 32 بيتا، أبرز من خلالها أهمية الهجرية النبوية، وداعيا المسلمين إلى ضرورة أخذ العبرة والدروس منها[18].

– بتاريخ 26 أوت 1971م قصيدة من 26 بيتا بعنوان " الألف المقصورة " بيّن من خلالها قواعد رسم الألف المقصورة[19] .

❖ مجلة الهداية:

– قصيدة " القرآن الكريم " من 31 بيتا، بتاريخ مارس 1968م، تناول فيها عظمة القرآن الكريم وإعجازه، داعيا إلى تدبره وتلاوته ومذكرا بأجره وثوابه وفوائده[20].

– قصيدة " تحية المعلّم " من 23 بيتا، بتاريخ جوان 1970م، أكد فيها على فضل المعلّم ودوره في نشر العلم والمعرفة والصلاح والأخلاق الفاضلة[21].

– قصيدة " اللقيط " من 26 بيتا، بتاريخ أكتوبر 1972م، وصف فيها الحرمان والحالة المريرة التي يعيشها هذا الصنف من ضحايا العلاقات غير الشرعية[22].

– قصيدة " هدية العيد " من 22 بيتا بتاريخ 20 /1975/10م، هنّأ من خلالها الصائمين بعيد الفطر، وبثواب وأجر الصيام[23].

– قصيدة " جامع الزيتونة " من 45 بيتا، بتاريخ جوان 1979م، بمناسبة مرور 13 قرنا على تأسيسه، أبرز فيها دوره في خدمة الدين والعلم والمعرفة[24].

❖ جريدة الصباح التونسية:

– قصيدة " قم للمعلّم (جد وفكاهة) "، من 42 بيتا، بتاريخ جوان 1969م، أشاد فيها بالدور الذي يقوم به المعلّم، والمصاعب والظروف التي يعيشها مربي الأجيال[25].

– قصيدة " لك الخلد يا تموز " من 51 بيتا، بتاريخ 20 جويلية 1969م، (كما أذيعت بإذاعة صوت أمريكا)، وكانت المناسبة وصول رواد الفضاء إلى سطح القمر، واستغلها

لينبه العرب من الاستمرار في الغفلة واللعب، ويقدم لهم النصائح التي من شأنها توصلهم إلى الريادة والتفوق على الغرب والروس[26].

– قصيدة " عناصر التوحيد " من 40 بيتا، بتاريخ 30 جويلية 1969م، دعا من خلالها العرب إلى الاتحاد والكف عن التفرقة والخلافات، مذكرا بضرورة التقيد بعناصر التوحيد: الدين – الفصحى – والعروبة[27].

– قصيدة " شهر الرحمة " من 27 بيتا، في شهر سبتمبر 1975م، عبّر فيها عن فضل شهر رمضان وثواب أجر الصائمين[28].

– قصيدة " حفلة جاز " من 25 بيتا، نشرت بجريدة الصباح تحت عنوان: " شعر طريف "، في شهر أوت 1975م، وصف من خلالها المؤلف الفوضى والضجيج الذي شهدته حفلة لموسيقى الجاز، حيث عبّر عن رفضه لهذا النوع من الحفلات، ناصحا الشباب بالانتباه والحذر، وداعيا لهم الله تعالى بالهداية للرشد[29].

– قصيدة " قالوا عمود الشعر شاخ" من 47 بيتا، في شهر مارس 1970م، يقول الشيخ في هذا الصدد:« صغت هذا القصيد في سنة بلغ فيها ذمّ الخليل وبحور شعره مبلغا لا يحسن السكوت عنه »[30].

كما ردّ المؤلف نثرا في جريدة الصباح على أحد الكتاب بالمشرق العربي الذي نادى بتعديل الرسم العربي كتعويض الإمالة بالألف الطويلة، والاستغناء عن ألف الفرق اللاحقة بواو الجماعة[31].

❖ جريدة الصريح التونسية: نشر فيها مقالا بعنوان " تحقيق القول في هاروت وماروت " يوم الجمعة 23 أكتوبر 2009م[32].

- **6. مكانة الجزائر والأمتين العربية والإسلامية في أدبيات المؤلف:**

أفصح الشيخ **العربي بن عمار** عن توجهه الوطني وبقي وفيّا لوطنه الجزائر وحريصا على قضيته، رغم أنه عاش فيه إلا السنوات التسع الأولى من طفولته، فكانت الجزائر دائما ضمن انشغالاته، وبقي في تواصل دائم مع أهل قريته سيدي عون من خلال كتاباته ورسائله، وكيف

لا؟!، وهو الذي قطع تعليمه العالي بالزيتونة خلال الفترة 1947 – 1951م، وهبّ لنجدة أهل قريته ومحاربة الأمية والجهل والتخلف الذي ساد فيها، لذلك كان للجزائر وقريته وأقاربه نصيبا من أشعاره وكتاباته التي أكدت اتجاهه الوطني السياسي والاصلاحي والاجتماعي، وسنحاول إبرازها في هذا المقام:

- قصيدة " **ثورة الجزائر** ": انتهز الشاعر اندلاع الثورة الجزائرية فنظّم قصيدة في 19 بيتا في شهر نوفمبر 1954م، عبّر فيها عن صمود الشعب الجزائري في وجه السياسات الفرنسية، حيث افتتحها معلنا عن اندلاعها في الأبيات الثلاثة الأولى قائلا[33]:

لعلـــع الرّشـــاش في قلـــب الجزائـــر ... فاستعـــدي يـــا فرنســـا للمصائـــر
دمـــــدم البـــــارود في أوراســـــها ... لـــك يُهـــدي المـــوتَ منـــه كـــلّ ثـــائر
هبّـــت الأحـــرار بعـــد الظلـــم كـــي ... تشـــهدي بِـــالعَيْن أن الظّلـــم بـــائر

وابتداء من البيت الخامس خاطب فرنسا مفندا الدعاية الاندماجية الفرنسية التي اعتبرت الجزائر جزء لا يتجزأ منها، فقال:

إن تقولـــي: إنـــه منـــكم فقـــد ... سفّهتْ ثورتُـه دعـوى الجبابـر
خِلْـــتِ، إذ سخّـــرته قرنـــا ومـــا ... زاد بين الرّعب، أنّ الشعب خادر
ومضـــت أحلامـــكِ الطـــولى مـــدًى ... غير أن الصبح قال: الحُلم خاسر
فـــانبرى مـــن بعـــد كبـــت صائـــلا ... يكسر الأغـلال مثل الليث هـادر
لا يهـــاب المـــــوت إذ يقتـــاده ... زعمـــاء الشعـــب أبناء الحرائـر
أقسمـــوا أن لا يذوقـــوا راحـــة ... فيه حتى يصرعوا خصم الجزائـــر

وعبّر الشاعر عن إيمانه بالنصر وببناء الوحدة المغاربية بقوله ابتداء من البيت الرابع عشر إلى نهاية القصيدة:

إن يـــوم النصـــر آتٍ فاعلمـــــي وهـــو يـــومٌ حُبُّـــه ديـــنُ الضمائـــــر
فيـــه نبـــني المغـــرب الأكـــبر مـــن كـــل جـــزء منـــه صـــرحا في الأكـــابر
قلبـــه الأوراس والجُنْحـــــان تـــو نـــس والمغـــرب، بـــالجُنْحين طائـــر
ويـــــرى يومئـــــذ أعـــــداؤه أنـــه فـــوق النجـــوم الغُـــرّ سائـــــر
فلتسِـــرْ يـــا شـــعب حثّـــاث الخطـــى لنـــــرى فرحتنـــا بـــين العشائـــــر
ولْتثـــــقْ أنّ الـــــذين اقتعـــــدوا ماضـــيات العـــزم يُزْجُـــون المقـــادِر

– قصيدة " **وحي صورة** " من 25 بيتا، مهداة إلى ابن قريته بسيدي عون وتلميذه السيد **العربي قدوري** الذي تربطه معه صداقة متينة، يقول في بيتيها الخامس والسادس[34]:

قـــد ذكّرتنـــا ســـالف العهـــود بـــ (ســـيدي عـــون) وبـــالجهود
تـــنمّ بـــالتقى وحـــبّ الخـــير وطيبـــة القلـــب وفعـــل الخـــير

– قصيدة " **عروس الزّوايا** " (**وذكريات طفولة لا تنسى**): من 46 بيتا، استعاد من خلالها الشيخ ذكريات الطفولة في قرية سيدي عون بوادي سوف التي وصف زاويتها بعروس الزوايا، وقد استهلها بـ[35]:

سـيّدي عـون يـا ابـن خـير الزّوايـا كـم رأى النـاس فيـك خـير السّـجايا
أنـــتَ جـــدّي لكُـــمْ معمّـــق حُـــبّي دون حـــدّ ومثلـــه مـــن دُعايـــا

– قصيدة " **زلزال الأصنام** ": تألم الشاعر للخسائر البشرية والمادية التي خلفها الزلزال الذي ضرب بشدة مدينة الأصنام (الشلف حاليا) يوم 10 أكتوبر 1980م، ولم يتأخر بدوره وكعادته، فنظم قصيدة شعرية من 21 بيتا في نفس الشهر، عبر فيها عن مواساته لإخوانه الجزائريين[36].

افتتح الشاعر قصيدته بالدعوة إلى التسليم والرضى بقضاء الله وقدره ومذكرا بالثواب الذي يناله الصابرون في الأبيات الثمانية الأولى بقوله:

الحكـم في كـل مـا يجـري بـه القـدر لله لم يمضـــه مـــا بيننـــا بشـــر
ووافـــر العقـــل مـــن يعنُـــو لحكمتـــه ولـــو تجلّـــى لـــدى أفعالـــه كـــدر

أما في الأبيات التي تليها فعبّر عن الألم والحزن الذي أصابهم قائلا:

والله يشهد كم أمسى بنا ألم ... لا نستطيع له دفعا، وكم كدر
فالعين تدمع والأحشاء دامية ... والنفس من شدة الإحساس تستعر
والنوم قد هجر الأجفان مدّتها ... والجسم أوْدتْ به الأحزان والسّهر
وكاد من مزعج التشريد وألمي ... بين العرا كبدي المكلوم ينفجر
والقلب من رؤية (الأصنام) وهي على ... لظى المصيبة تُشوى كاد ينفطر

– قصيدة " **فلْيهْنأ الأبوان** " من 12 بيتا، بتاريخ جويلية 1990م، يحيي فيها ذكرى عيد استقلال الجزائر، حيث يقول في البيتين التاسع والعاشر[37]:

فإذا الجزائر فوقَ بُرج سُعودها ... تبني الخُلودَ بهمّةٍ لا تَفتُرُ
وتقودُ للمرّيخ مغربّنا الذي ... ما زالَ في أذيالهِ يتعثرُ

– نضيف لما سبق مجموعة الرسائل الشخصية المتبادلة بين الشيخ العربي وأقاربه وأصدقائه وتلاميذه من الجزائر، والتي أكدت على صدق التواصل بينهم، إضافة إلى التقييدات التي قام بها الشيخ للتعريف بشجرة العائلة، مثل " عائلة الشيخ العربي بن عمار "، " أقاربنا في سيدي عون من جهة الأب ".

القضايا المغاربية: كان البعد المغاربي حاضرا في اهتمامات وأشعار المؤلف، الذي كان دائما يناشد الوحدة المغاربية، ففي قصيدته " **ثورة الجزائر** " في نوفمبر 1954م، شبّه الجزائر بقلب المغرب الأكبر وشبّه تونس والمغرب بالجناحين، وبمناسبة مشروع وحدة بين تونس وليبيا الذي أُعلن عنه في 12 جانفي 1974م، عبّر عن فرحته بهذا الاتحاد ونظّم قصيدة من 24 بيتا تحت عنوان: " **وحدة تونس وليبيا** "[38].

القضايا العربية الإسلامية[2]: في ظل الضعف والهوان الذي تعيشه وتمرّ به الأمتان العربية والإسلامية، عبّر الشيخ عن اهتمامه وقلقه لهذا الوضع، فنظّم سنة 1947م قصيدة " **بني**

2

العرب هبّوا " من 26 بيتا[39]، موجها نداءه للعرب بالنهوض من سباتهم وغفلتهم، وطرد المستعمرين الذي هيمنوا على الوطن العربي من الخليج إلى المحيط، مفتتحا نداءه بـ :

بـــني العُـــرب هُبّـــوا لفـــكّ الـــبلاد ... مـــن اسْـــر الضـــلال وقهـــر الأعـــاد
تُبـــــوءوا بنصـــــر ونيـــــل مُـــــراد ... ويخفُـــقْ عـــليكم لـــــواء الســـــلام
كفـى مـا اعْـترى مـن سُـبات عميـق ... أضـــلّ العبـــاد سَـــواء الطريـــق
ندائـــي إلـــيكم: مـــتى نستفيـــق ... لنُنقـــذ شعـــبا بـــراه السَّـــقام
ألا فلْتخوضـــوا غـــمـــار الحيـــاة ... ولا تستكيـــنوا لقهـــر العـــداة
فكيـــف التـــوانـــي وكيـف الأنـاة ... وأنـــتم فـــروع أصـــول عظـــام؟

كما نظّم قصيدة " **صوت العروبة** "، من 18 بيتا سنة 1948م، سنة احتلال الصهاينة لفلسطين مناشدا العرب لنجدتها ونصرتها في قوله:

صـــوت يجلجـــل عـــبر بيـــت المقـــدس ... ومـــن الخلـــيج إلى المحـــيط الاطلســـي
صـــوت يـــرن صـــداه عـــبر أثيرنـــا ... بـــين العمـــائر والفيـــافي الـــدّرس
يـــدعو الغفـــاة ليـــوم «يعـــرب» إنـــه ... يـــوم التحـــرر مـــن دخيـــل أشـــرس

وفي أواخر شهر أوت 1969م نظّم قصيدة " أما للمسجد الأقصى بنوه؟ " من 23 بيتا، ندّد من خلالها على سكوت وتخاذل العرب في نجدة المسجد الأقصى[40]:

ألا المســـــجد الأقصـــــى الشـــــريف ... ومجـــد العـــرب والشـــرف النظيـــف
لقـــد خـــذل القعـــود وهـــم ألـــوف ... عـــن الثـــأر المكفكـــف للنزيـــف
بنـــو صـــهيون غـــدرا حرقـــوه ... فـــأين إبـــاؤكم شـــم الأنـــوف؟
أماتـــت نخـــوة الأجـــداد فـــيكم ... فصـــار الغيـــل للـــذئب العجيـــف؟

7.خاتمة:

كان الهدف الرئيسي من هذا البحث هو إماطة اللثام عن هذه الشخصية العلمية المهاجرة بالبلاد التونسية، وذلك بالكشف عن إسهامات الشيخ في الحياة العلمية والفكرية التونسية، فتطرقنا إلى التعريف به وبمؤلفاته العلمية القيمة، وإسهاماته في الصحافة التونسية، إضافة إلى مكانة الجزائر والأمتين العربية والإسلامية في أدبياته.

ومما سبق يمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

- مثّل الشيخ العربي بن عمار شخصية علمية واسعة المعارف، ساهمت عديد العوامل في صقل شخصيته العلمية مستغلا موروثه الديني ورصيده التعليمي الزيتوني ومساره التربوي، أثرى الحياة العلمية والفكرية بمؤلفاته العلمية الوافرة التي شملت مختلف المجالات؛ الدين، الأدب العربي، التاريخ، الفلسفة...

- أكد الشيخ على توجهه الوطني والاصلاحي والاجتماعي بمساهمته في مقاومة السياسة الثقافية الاستعمارية في بلاده الجزائر، فتصدى للجهل والتخلف والخرافات بنشر نور المعرفة والعلم بمسقط رأسه، ولولا التهديدات التي تعرض لها من طرف أعداء الإصلاح لواصل رسالته الإصلاحية.

- الشيخ ذو توجه عربي إسلامي، غيور على وطنه ودينه وعروبته، يؤمن بالوحدة المغاربية في إطار وحدة العالمين العربي والإسلامي، وقد تأكد ذلك من خلال أشعاره وكتاباته.

- اعتمد الشيخ في كتابة مؤلفاته على الأسلوب العلمي الذي يغلب عليه الجانب الأدبي، وفق منهجية علمية، حرص من خلالها على توثيق مصادر ومراجع مؤلفاته تحقيقا للأمانة العلمية، وتميز أسلوب كتاباته بالوضوح والبساطة حتى يتمكن القارئ في عصرنا هذا من فهم غرضه من التأليف، وكانت لغته سليمة.

- غلب على منهج الشيخ في التأليف الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف وبالأدب العربي من شعر وحكم وأمثال عربية كلما دعت الضرورة لذلك، وهذا نابع من تكويني الديني والأدبي الزيتوني.

– نوّع الشيخ في تقديم أفكاره وتأملاته عبر قوالب أدبية وشعرية ووفق مناهج تاريخية تحليلية، فوثّق وأرخ وحلل وناقش الظواهر والأحداث من خلال المؤلفات التي ذكرناها.

– لم يكن الشيخ العربي شاعرا فحسب، بل كان مؤرخا ومفسرا وفقيها وأديبا، وهذا ما وقفنا عليه من خلال مؤلفاته الثمانية ومن المواضيع التي تطرق لها.

التوصيات: نظرا لحداثة هذا الدراسة وأهميتها العلمية والبحثية، فإنه يمكن تقديم جملة مقترحات ذات صلة بالموضوع نوجزها فيما يلي:

– انطلاقا من هذا المنبر العلمي ومن هذه المجلة الغرّاء، ندعو الباحثين إلى إنصاف هاته الشخصية العلمية والاهتمام بدراسة مؤلفاته الثمانية دراسة أكاديمية متخصصة.

– ترك الشيخ رحمه الله مادة علمية مصدرية خام، بين مطبوع ومخطوط، وبين شعر ونثر، تعتبر حقلا خصبا للباحثين من طلبة وأساتذة في مختلف التخصصات العلمية والأدبية والدينية والاجتماعية والانسانية.

– فالدواوين الشعرية "بل الصدى "، و" السراج الوهاج "، تفتح آفاق للباحثين المتخصصين في الأدب العربي، أما مخطوطات " الروح والريحان " و " القول الملهم في توضيح ما في القرآن من المبهم " و " تفسير جزء عمّ "، و" القول السديد في التعليق على جوهرة التوحيد " فتمثل أرضية بحث للمتخصصين في العلوم الإسلامية، أما باحثو الدراسات الإنسانية والاجتماعية فكل مؤلفات الشيخ تدخل ضمن اهتماماتهم البحثية.

– نتمنى أن تجد مخطوطات الشيخ النور للنشر والطباعة، سواء من طرف عائلته المحترمة القاطنة بالحاضرة تونس، أو من طرف المؤسسات العلمية والبحثية، حتى تتاح الفرصة للقراء وللباحثين للاطلاع عليها والاستفادة منها.

8 . الملاحق:

الملحق رقم (01) – صورة الشيخ العربي بن عمار – والافتتاحية التي سنها المؤلف في كتبه.

العربي بن عمار

سوْفَ أمْضِي وصُورَتي سوْفَ تبْقَى ... بَعْدَ مَوْتي لك اعتباراً وذِكْـــرَى
فاتّخِذْ من إيحائها ما يُقَـــوِّي ... لك عزْماً وشـدّ عنـــــدكَ أزْرَا
عِشتُ دهراً وإنْ تمادَى أرانـــي ... مِثْلَما اجْتَازَ عابرُ النهرِ جِسْـرَا
سوف يبكِي مَن ضيّع العُمْرَ لَهْـواً ... وفراغاً ويَسكُبُ الدمعَ بَحْـــرَا
فتزوّدْ من الصـــــلاحِ وعَجِّـلْ ... قبل أنْ تَلْعَقَ النَّدامةَ جَمْـــرَا
واسألِ اللّهَ في الأخيرِ لعَبْـــــدٍ ... رَحمـــةً تَلْقَهـــا غـداً لك تَتَـــرَى

2003/06/12 العربي بن عمار

7

المصدر – العربي بن عمار – ديوان السراج الوهاج –المصدر السابق – ص 07.

الملحق رقم (02) – واجهة الجزء السادس من المخطوط

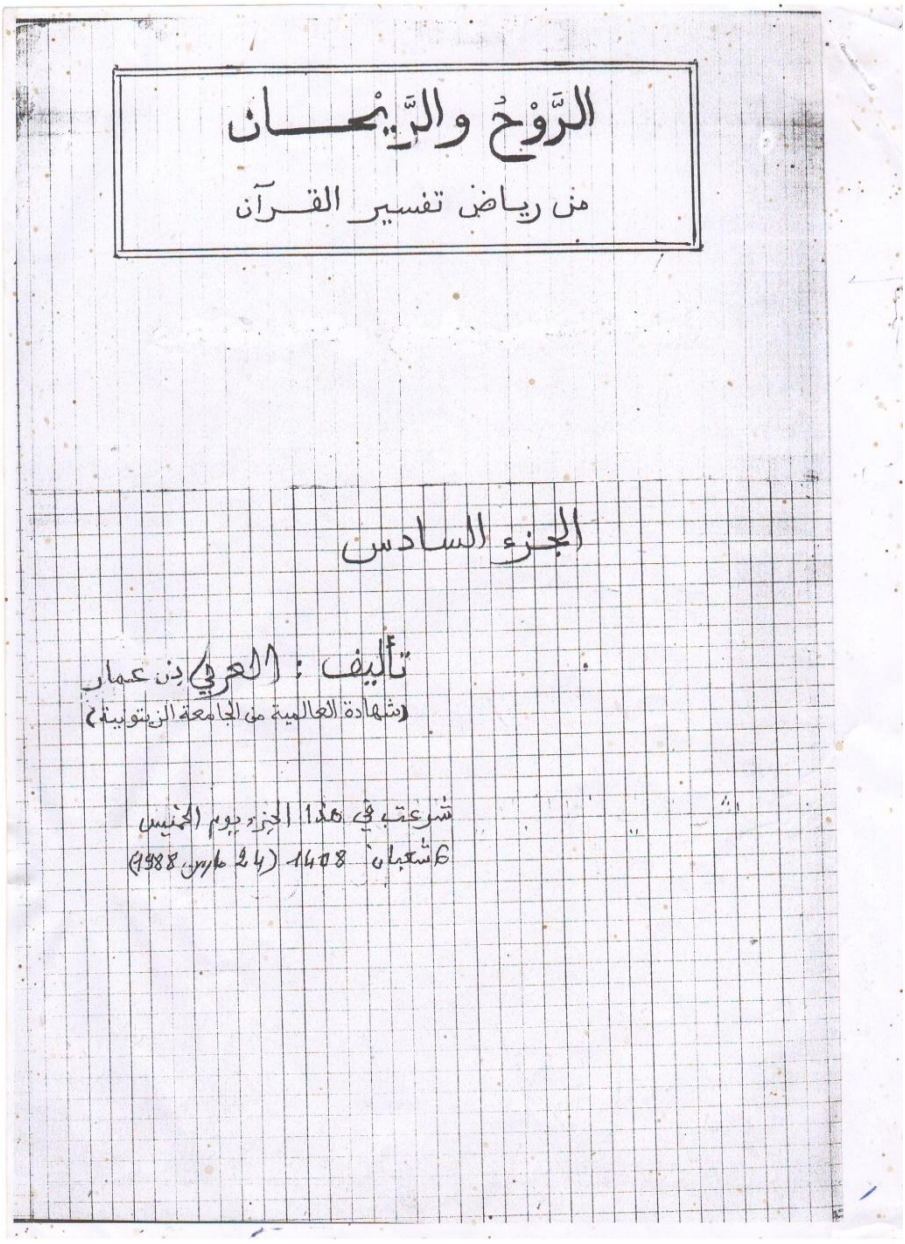

المصدر – دار الكتب الوطنية التونسية

مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 07 ،العدد 03 ديسمبر ،2021 ص - ص:95-122.

الملحق رقم (03) – نموذج لمنهج الشيخ في التفسير القرآني.

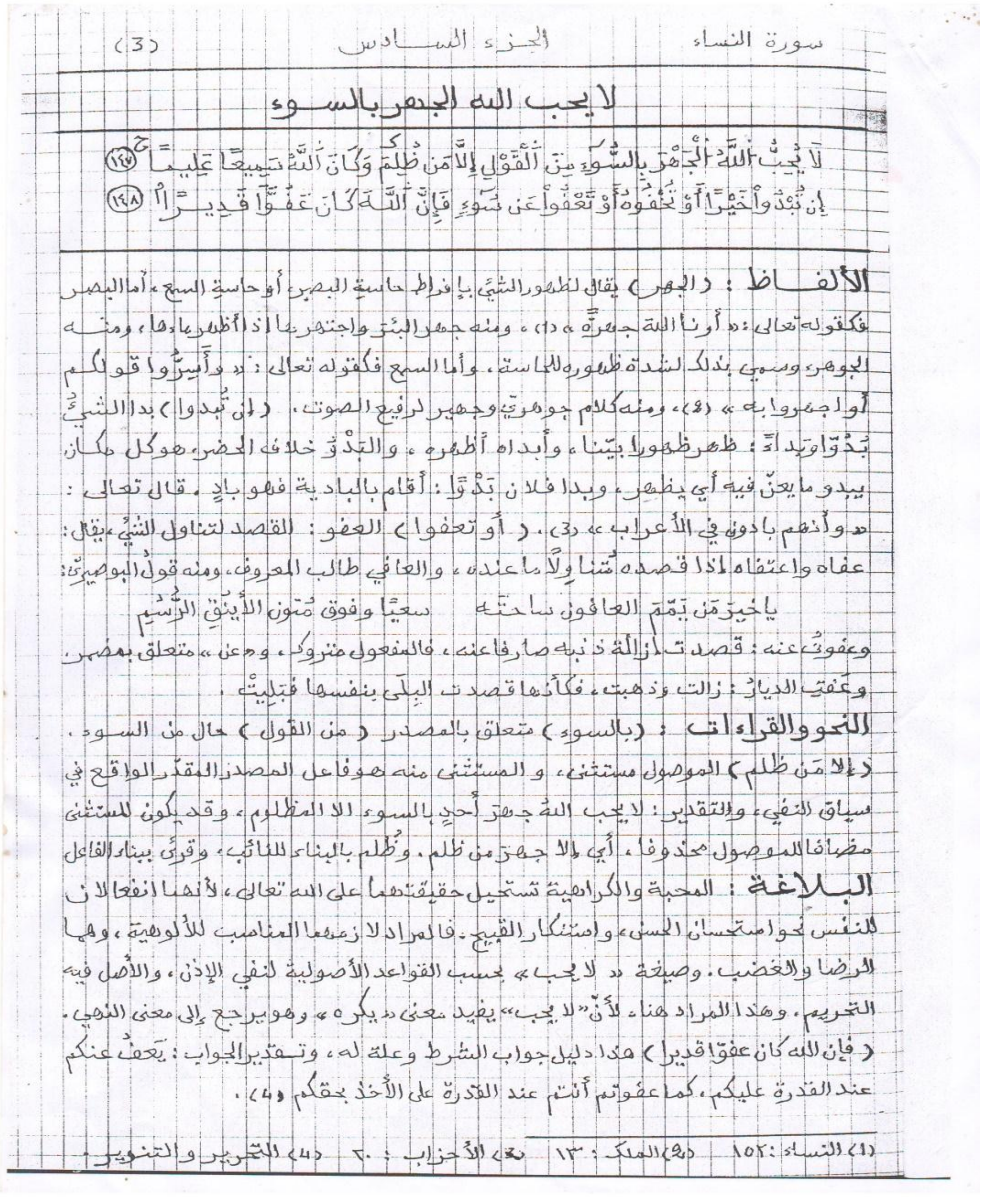

سورة النساء الجزء السادس (3)

لا يحب الله الجهر بالسوء

لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾
إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾

الألفاظ : (الجهر) يقال لظهور الشيء بإفراط حاسة البصر أو حاسة السمع، أما البصر فكقوله تعالى: «أرنا الله جهرة» (1)، ومنه جهر البئر واجتهرها إذا أظهر ماءها، ومنه الجوهر، وسمي بذلك لشدة ظهوره للحاسة. وأما السمع فكقوله تعالى: «وأسروا قولكم أو اجهروا به» (2)، ومنه كلام جوهري وجهير لرفيع الصوت. (إن تبدوا) بدا الشيء بُدُوًّا وبداءً: ظهر ظهورا بيّنا، وأبداه أظهره. والبَدْوُ خلاف الحضر، هو كل مكان يبدو ما يعنّ فيه أي يظهر، وبدا فلان بَدْوًا: أقام بالبادية فهو بادٍ. قال تعالى: «وأنهم بادون في الأعراب» (3). (أو تعفوا) العفو: القصد لتناول الشيء، يقال: عفاه واعتفاه إذا قصده مُتناولًا ما عنده، والعافي طالب المعروف، ومنه قول البوصيري:

يا خيرَ من يَمَّمَ العافون ساحتَه ... سعيًا وفوق متون الأينق الرُّسُمِ

وعفوتُ عنه: قصدت إزالة ذنبه صارفا عنه، فالمفعول متروك، وعن متعلق بمضمر. وعَفَتِ الديارُ: زالت وذهبت، فكأنها قصدت البِلَى بنفسها فبَلِيَتْ.

النحو والقراءات : (بالسوء) متعلق بالمصدر (من القول) حال من السوء. (إلا من ظلم) الموصول مستثنى، والمستثنى منه هو فاعل المصدر المقدّر الواقع في سياق النفي، والتقدير: لا يحب الله جهر أحدٍ بالسوء إلا المظلوم، وقد يكون المستثنى مضافا للموصول محذوفا، أي إلا جهر من ظلم. وظُلم بالبناء للنائب، وقرئ ببناء الفاعل

البلاغة : المحبة والكراهية تستحيل حقيقتهما على الله تعالى، لأنهما انفعالان للنفس نحو استحسان الحسن، واستنكار القبيح. فالمراد لازمهما المناسب للألوهية، وهما الرضا والغضب. وصيغة «لا يحب» بحسب القواعد الأصولية لنفي الإذن، والأصل فيه التحريم. وهذا المراد هنا، لأن «لا يحب» يفيد معنى «يكره»، وهو يرجع إلى معنى النهي. (فإن الله كان عفوا قديرا) هذا دليل جواب الشرط وعلته، وتقدير الجواب: يعفُ عنكم عند القدرة عليكم، كما عفوتم أنتم عند القدرة على الأخذ بحقكم (4).

(1) النساء: 152 (2) الملك: 13 (3) الأحزاب: 20 (4) التحرير والتنوير.

المصدر– الصفحة الثالثة من الجزء السادس من المخطوط.

تابع للملحق رقم (03) – نموذج لمنهج الشيخ في التفسير

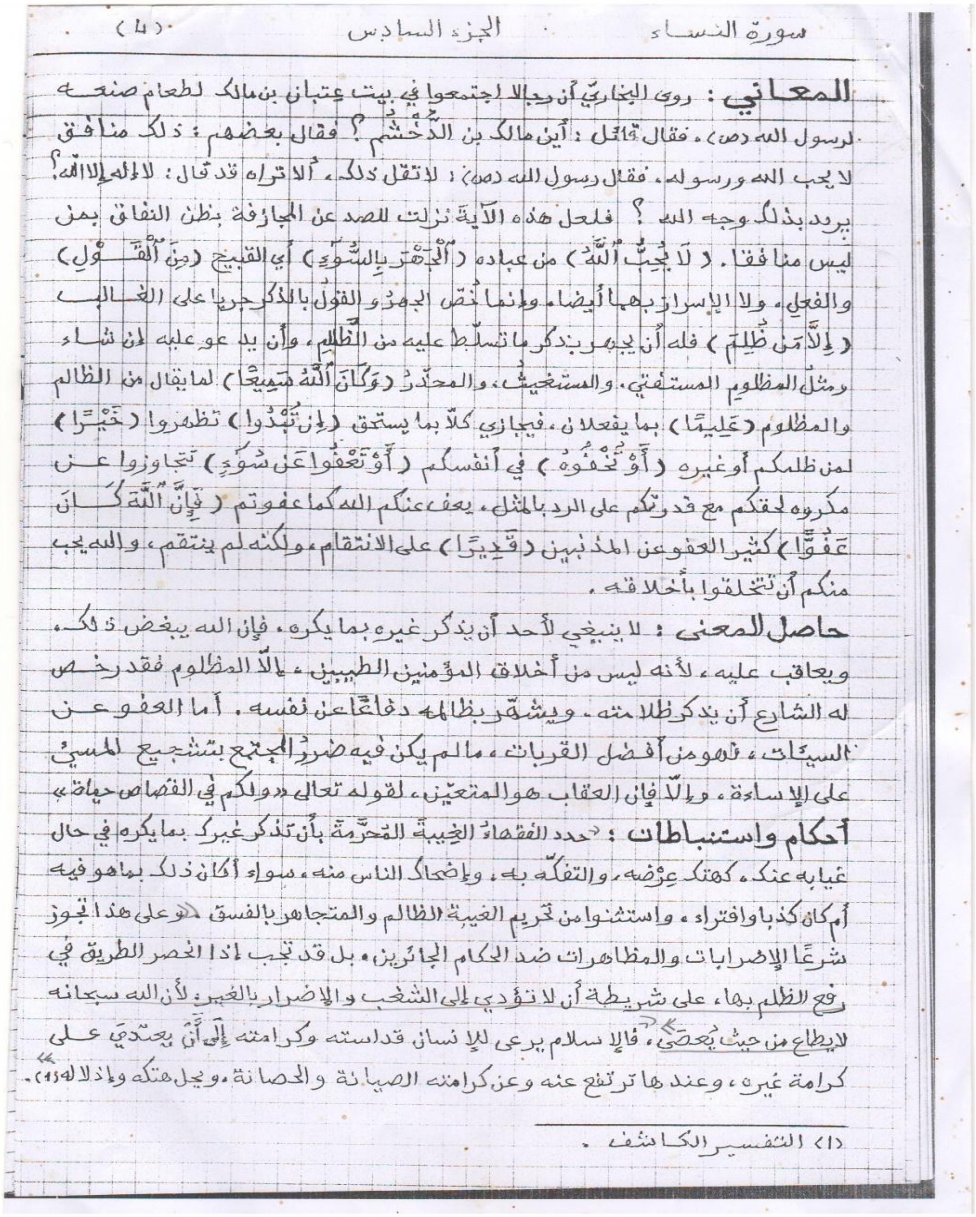

سورة النساء الجزء السادس (4)

المعاني: روى البخاري أن رجلا اجتمعوا في بيت عتبان بن مالك لطعام صنعه لرسول الله (ص)، فقال قائل: أين مالك بن الدخشم؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله (ص): لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟ فلعل هذه الآية نزلت للصد عن المجاهرة بظن النفاق بمن ليس منافقا. (لَا يُحِبُّ اللَّهُ) من عباده (الْجَهْرَ بِالسُّوءِ) أي القبيح (مِنَ الْقَوْلِ) والفعل، ولا الإسرار بهما أيضا، وإنما نص الجهر والقول بالذكر جريا على الغالب (إِلَّا مَنْ ظُلِمَ) فله أن يجهر بذكر ما تسلط عليه من الظلم، وأن يدعو عليه إن شاء ومثل المظلوم المستفتي، والمستغيث، والمحدث (وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا) لما يقال من الظالم والمظلوم (عَلِيمًا) بما يفعلان، فيجازي كلا بما يستحق (إِنْ تُبْدُوا) تظهروا (خَيْرًا) لمن ظلمكم أو غيره (أَوْ تُخْفُوهُ) في أنفسكم (أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ) تتجاوزوا عن مكروه لحقكم مع قدرتكم على الرد بالمثل، يعف عنكم الله كما عفوتم (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا) كثير العفو عن المذنبين (قَدِيرًا) على الانتقام، ولكنه لم ينتقم، والله يجب منكم أن تتخلقوا بأخلاقه.

حاصل المعنى: لا ينبغي لأحد أن يذكر غيره بما يكره، فإن الله يبغض ذلك، ويعاقب عليه، لأنه ليس من أخلاق المؤمنين الطيبين، إلا المظلوم فقد رخص له الشارع أن يذكر ظلامته، ويشكو بظلامه دفاعا عن نفسه. أما العفو عن السيئات، فهو من أفضل القربات، ما لم يكن فيه ضرر المجتمع بتشجيع المسيئ على الإساءة، وإلا فإن العقاب هو المتعين، لقوله تعالى «ولكم في القصاص حياة».

أحكام واستنباطات: حدد الفقهاء الغيبة المحرمة بأن تذكر غيرك بما يكره في حال غيابه عنك، كهتك عرضه، والتفكه به، وإضحاك الناس منه، سواء أكان ذلك بما هو فيه أم كان كذبا وافتراء، واستثنوا من تحريم الغيبة الظالم والمتجاهر بالفسق «وعلى هذا تجوز شرعا الإضرابات والمظاهرات ضد الحكام الجائرين، بل قد تجب إذا انحصر الطريق في رفع الظلم بها، على شريطة أن لا تؤدي إلى الشغب والإضرار بالغير، لأن الله سبحانه لا يطاع من حيث يعصى، فالإسلام يرعى للإنسان قداسته وكرامته إلى أن يعتدي على كرامة غيره، وعندها ترتفع عنه وعن كرامته الصيانة والحصانة، وعلى هتكه وإذلاله(1).

(1) التفسير الكاشف.

المصدر – الصفحة الرابعة من الجزء السادس من المخطوط.

الملحق رقم (04) – واجهة مخطوط تنوير الأفكار بتحقيقات أولي الأبصار

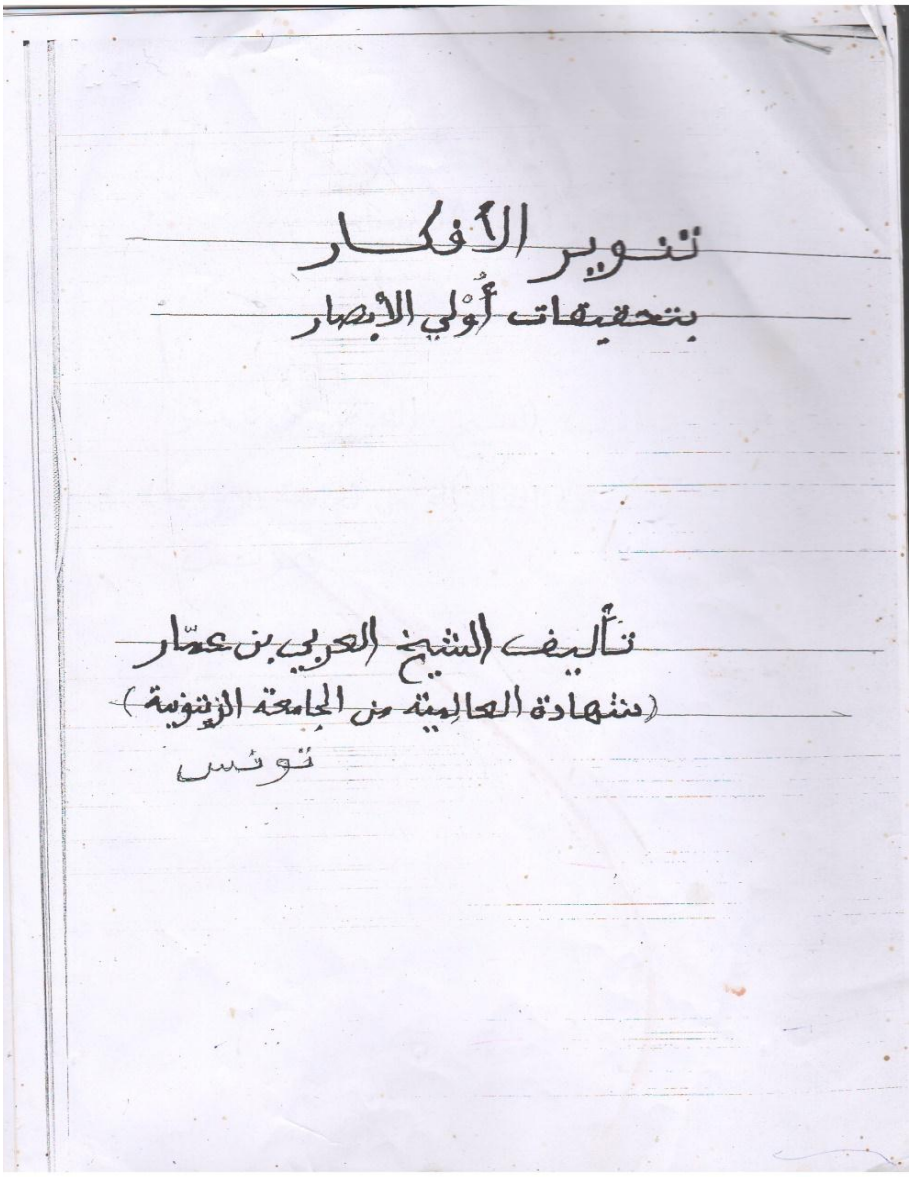

المصدر – نسخة محفوظة بالمكتبة المنزلية للشيخ بالحاضرة تونس.

الملحق رقم 05 – مقال للشيخ بعنوان " تحقيق القول في هاروت وماروت "

الصريح ـ الجمعة 23 أكتوبر 2009(ص 29)

تحقيـــق القـــول فـــي هـــاروت وماروت

بقلم العربي بن عمار

قال الله تعالى في سورة البقرة الآية رقم 102: «واتّبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت».

هاروت وماروت الروايات الاسرائيلية التي درج عليها المفسّرون إما رجلان من مدينة بابل العراقية شبيهان بالملائكة لتقواهما يعلّمان الناس سحر سليمان عليه السلام على زعم اليهود، وقد كان مدفونا في منزله على زعمهم، ولما مات دلّهم عليه الشيطان. وإما ملكان من الملائكة. وهما في زعم اليهود جبريل وميكائيل نزلا بأمر الله تعالى لتعليم الناس السحر ابتلاء واختبارا لينفي أيهم يعمل به فيكفر. ومن لا يعمل به فيؤمن. وقيل هما ملكان من عوام الملائكة نزلا من السماء الى أرض بابل، فأعجبتهما امرأة وفتنتهما بجمالها، فراودتهما عن نفسها، فشرطت عليهما مقابل ذلك أن يعلّما أهل بلدها السحر. فنزلا على شرطها ووقعا في الخطيئة (1) ثم ندما وطلبا من الله المغفرة، فخيّرهما بين عذاب الدنيا أو الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فهما مسلسلان في بئر يعذّبان فيها الى يوم القيامة، هذا ما درج عليه المفسّرون نقلا عن الاسرائيليات.

قال الشيخ العُبيدي مفتي مدينة الموصل بالعراق في كتاب «النواة في حقل الحياة» كما ذكر الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه «التفسير الكاشف» (2):

مازلت أجهل معنى الآية الكريمة، لا يشفي غليلي فيها مفسر حتى وقفت على تاريخ (جمعية البَنّائين (3) فتبيّنت معناها اللائق بكتاب الله والخالي من الاساطير.

ثم قال الشيخ العبيدي في كتابه المذكور: لما عظم مُلك سليمان عليه السلام استراب ملك بابل الطامع في سوريا وفلسطين، فأوفد الى بيت المقدس رجلين من دهاة بطانته اسمهما هاروت وماروت، يبيّان من التعاليم ما عسى أن يفسد على سليمان ملكه، وكان هذان الرجلان بظاهر حالهما من الزهد والتقشف كملكين، ولكنهما في الواقع شيطانان وكانت تعاليمهما كالسحر بما يعضدها من حسن البيان، وطالما استُعمل لفظ المَلَك في الرجل الصالح (4) ولفظ الشيطان في الرجل الطالح (5) ولفظ السحر في العبارة الفاتنة (6) وقد أنبأنا التاريخ بما كان من شأن بُختنصّر (7) ملك بابل من غزو فلسطين بعد سليمان وتخريبه بيت المقدس. اذا عرفت هذا علمت أن معنى الآية الكريمة أن يهود الحجاز كانوا يكيدون للنبي عليه السلام بالمكائد والدسائس المقنّعة والدعاية المزوّقة اقتداء بالمارقين من أسلافهم الذين أغانوا رسل بابل في تقويض ملك سليمان.

وإليكم تفسير الآية على مقتضى فهم الشيخ لها، وهو التفسير السليم بلا رَيْب (8):

(واتبعوا) أي يهود المدينة على عهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ما تتلو الشياطين) أي يرويه رجال بابل المشحونون وعملاؤهم من اليهود على عهد (ملك سليمان) أي استعملوا المكائد والدسائس ضد النبي صلى الله عليه وسلم كما استعملها أسلافهم اليهود ضد سليمان عليه السلام (وما كفر سليمان) بانحرافه عن التوراة ومحوه منها آيات التسامح مع دول الجوار كما افترى نجاجلة بابل ليوغروا عليه صدور شعبه فيثوروا عليه (ولكن الشياطين) من رجال بابل الساعين لنشر الفتنة هم الذين (كفروا) بالله بالكذب على نبي الله سليمان ونشر الفتنة بين شعبه (يعلمون الناس) من بني اسرائيل (السحر) اي الاشياء الباطلة ببيان ساحر وأسلوب ماكر للاطاحة بملك سليمان (و) يعلّمونهم (ما أنزل على الملكين) إلهاما من فنون الشعوذة وهما مندوبا ملك بابل الى بيت المقدس الشيبهان بالملائكة في تقواهما الظاهرة التي يتسترون بها ليتّ سمومهم، وقد مهرا في هذا الفن (بـ) مدينة (بابل) العراقية وعرفا باسم (هاروت وماروت) اسما أو لقبا لهما (وما يعلّمان من أحد حتى يقولا) له دجلا ونفاقا (إنما نحن فتنة) امتحان يمتحنك الله به على إيدينا (فلا تكفر) كما كفر سليمان بترك تعاليم التوراة التي تدعو الى التسامح وحسن الجوار (فيتعلمون منهما ما) أي فن الشعوذة الذي (يفرقون به بين المرء وزوجه) والصديق وصديقه (وما هم بضارّين به) أي فن الشعوذة (من أحد الا بإذن الله) وتأثيره عند توفر الاسباب (ويتعلمون) من هؤلاء الاشقياء (ما يضرّهم) في تفرقة الأمة (ولا ينفعهم) في شيء.

(1) الملائكة معصومون كالأنبياء فلا يقعون في الخَطيئة

(2) الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله هو رئيس المحكمة الشرعية الجعفرية ببيروت ـ لبنان. توفي في نهاية سنة 1979م من القرن الماضي.

(3) وفيها تاريخ بابل العراقية

(4) كقوله تعالى عن يوسف عليه السلام: «إنْ هذا إلا مَلَك كريم (سورة يوسف: 31)

(5) كقوله تعالى: «شياطينَ الانس والجنّ يوحي بعضهم الى بعض» (سورة الانعام: 112)

(6) كقوله صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان لسحرا» (رواه البخاري وغيره).

(7) بُختنصّر (604 ـ 561 ق م) هو أحد ملوك بابل

(8) وعليه صاحب التفسير الكاشف

المصدر– جريدة الصريح التونسية – الجمعة 23 أكتوبر 2009م – ص 29.

9. قائمة المصادر والمراجع:

- محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس – 1962 1900، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1983.

- خير الدين شترة ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900- 1956 ، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2013م..

- سمية لوافي، نشاط الطلبة الجزائريين الفكري والثقافي بتونس 1930-1962م "جامع الزيتونة نموذجا"، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2015/2014م.

- العربي بن عمار، مذكرات حياتي في سطور، مخطوط، (د . ت)، تونس.

- العربي بن عمار، تنوير الأفكار بتحقيقات أولي الأبصار، مخطوط، تونس.

- العربي بن عمار، بلّ الصدى، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ط1، 2002.

- العربي بن عمار، ديوان السراج الوهاج على تشطير البردة والمنهاج وملحقات أخرى، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ط1، 2004.

- العربي بن عمار، تراجم المبدعين من علماء المسلمين، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 2007 .

- العربي بن عمار، مخطوط الروح والريحان. من رياض تفسير القرآن، دار الكتب الوطنية التونسية، (د . ت)، تونس.

- العربي بن عمار، " تحقيق القول في هاروت وماروت "، جريدة الصريح التونسية، الجمعة 23 أكتوبر 2009م.

- رسالة بخط يد الشيخ العربي مؤرخة بباردو بتاريخ 02 مارس 2002م، موجهة إلى السيد بن عمارة بسيدي عون

- Jamel Haggui, - Les Algériens en Tunisie de 1871 à 1962, Thèse du Doctorat en histoire Contemporaine, Université de Toulouse, France, 2010.

10. هوامش البحث:

1 – محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 – 1962،الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1983، ص ص 364 – 409.

2 – إضافة إلى المرجع السابق، فإن من أهم الدراسات الأكاديمية التي تناولت الدور العلمي للطلبة الزيتونيين الجزائريين بالبلاد التونسية نذكر:

– خير الدين شترة ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900– 1956 ، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر،(د . ط)، 2013م..

– سمية لوافي، نشاط الطلبة الجزائريين الفكري والثقافي بتونس 1930–1962م "جامع الزيتونة نموذجا"، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2015/2014م.

– Jamel Haggui, Les Algériens en Tunisie de 1871 à 1962, Thèse du Doctorat en histoire Contemporaine, Université de Toulouse, France, 2010.

3 – العربي بن عمار، مذكرات حياتي في سطور، المصدر السابق، ص 01.

4– العربي بن عمار– بلّ الصدى، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ط1، 2002، ص 02.

5 – العربي بن عمار، تنوير الأفكار بتحقيقات أولي الأبصار، مخطوط، تونس، ص 05.

6– رسالة بخط يد الشيخ العربي مؤرخة بباردو بتاريخ 02 مارس 2002م، موجهة إلى السيد بن عمارة بسيدي عون.

7 – العربي بن عمار، بلّ الصدى، المصدر السابق

8 – ينظر الملحق رقم 01، صورة الشيخ العربي بن عمار – والافتتاحية التي سنها المؤلف في كتبه.

9 – العربي بن عمار، ديوان السراج الوهاج على تشطير البردة والمنهاج وملحقات أخرى، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ط1، 2004، ص 213.

10 – المصدر نفسه، ص 201.

11 – العربي بن عمار، تراجم المبدعين من علماء المسلمين، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 2007 .

12 – ينظر الملحق رقم 02، الصفحة الأولى من الجزء السادس لمخطوط الروح والريحان.

13 – ينظر الملحق رقم 03 ، منهج الشيخ في التفسير .

14 – ينظر الملحق رقم 04 ، واجهة مخطوط تنوير الأفكار بتحقيقات أولي الأبصار.

15– من أبرز المختصين في مجال القراءات، والمؤسس لجميع الإملاءات القرآنية في جميع مساجد البلاد التونسية، وكان هذا الشيخ يقدم دروسا ليلية في تفسير القرآن الكريم في ثلاثينيات القرن التاسع عشر حتى وفاته سنة 1942م بجامع باب الأقواس بحي باب سويقة بالحاضرة تونس.. ينظر الصفحة 04 من المخطوط.

16 – العربي بن عمار، تنوير الأفكار بتحقيقات أولي الأبصار، المصدر السابق، ص ص 03– 16.

17 – العربي بن عمار، بل الصدى، المصدر السابق، ص ص 26 – 27.

18 – المصدر نفسه، ص ص 30 – 31

19 – نفسه، ص ص 87 –88.

20 – نفسه، ص ص 56 –57.

21 – نفسه، ص ص 79 – 80.

22 – نفسه، ص ص 110 – 111.

23 – العربي بن عمار، السراج الوهاج، المصدر السابق، ص 190. .وأيضا، بل الصدى، ص ص 172– 173.

24– العربي بن عمار، بل الصدى، المصدر السابق، ص ص 203 – 205.

25 – المصدر نفسه، ص ص 62 – 64.

26 – نفسه، ص ص 65 – 67.

27– نفسه، ص ص 68– 70.

28– نفسه، ص ص 170– 171.

29 ينظر، بل الصدى، ص ص 166–167.

30– المصدر نفسه، ص ص 78– 80.

31 – نفسه، ص 87.

32- ينظر الملحق رقم 05 - مقال بعنوان " **تحقيق القول في هاروت وماروت** "

33 - العربي بن عمار، بل الصدى، المصدر السابق، ص 22.

34 - نفسه، ص 295.

35 - العربي بن عمار، عروس الزّوايا، مخطوط من صفحتين، لدي نسخة منه.

36 - العربي بن عمار، بل الصدى، المصدر السابق، ص ص 215 - 216.

37 - نفسه، ص 266.

38 - المصدر نفسه، ص 134.

39 - نفسه، ص 08.

40 - نفسه، ص 14. و أيضا، ص ص 71 – 72.